

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 32

الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: تفسير القرآن الكريم

المبحث: سورة لقمان

التاريخ: 11\01\2022 م

كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني

توقفت فيما سبق على التذييل الذي جاء في الآية السادسة عشر، وهي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾¹ تظهر أهمية هذا التذييل وارتباطه بصدر الآية، بعد الالتفات إلى المراد من اللطيف الخبير. في القرآن الكريم اجتمع اللطيف مع الخبير معرّفًا بالألف واللام في آيتين:

الآية الأولى: في سورة الأنعام: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾¹.

الآية الثانية: في سورة الملك: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾².

أما من دون أداة تعريف فقد ورد ذلك في آيات ثلاث:

الآية الأولى: ورد في سورة الحج: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

الآية الثانية: كذلك في هذه الآية التي نبحت عنها، ورد ﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ بدون ألف ولام.

الآية الثالثة: في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ كُنَّا مَا يَتْلُو فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾³.

جاءت كلمة لطيف لوحدها في القرآن الكريم بحسب الظاهر في موردين:

المورد الأول: في سورة يوسف: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾⁴

¹ الأنعام 103

² الملك 14

³ الأحزاب 34

⁴ يوسف 100

المورد الثاني: في سورة الشورى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾⁵

وكلمة الخبير مضافاً إلى ورودها مع كلمة اللطيف، معرفة وبدون تعريف، وردت مراراً في القرآن الكريم، ومجموع ما ورد ويرتبط بلفظة الخبير أكثر من أربعين مرة في القرآن الكريم.

الكلام المهم في تفسير كلمة لطيف، لطيف: فعيل بمعنى اسم الفاعل، وهي مأخوذة من اللطف، ولها معان، عندما تجتمع مع الخبير في القرآن الكريم تأتي بمعنى الدقة والشفافية، وهي بهذا المعنى من أسماء الله سبحانه وتعالى ومن صفاته، فالله لطيف خبير، فالباري تبارك وتعالى مع عظمته وكبريائه وجلالة شأنه ونفوذه في كل موجود وسيطرته عليه، مع ذلك هو شيء لا يثقل؛ لكونه مجرداً عن كل صفات الجسمانية، فهو الذي لا يشعر به ولا يحس به، فهو منزّه عن أن يكون جسماً، وأن يتصف بصفات المادة، كيف ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾⁶ فإذاً اللطيف في مثل هذه الموارد ما دق شأنه ولطف وجل وتنزه عن صفات الجسمانية، وفي الوقت نفسه هو خبير بحقائق الأمور ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾⁷ إذا لم يكن الباري تبارك وتعالى خبيراً بالكائنات، فمن يكون خبيراً بها؟ والحال أنه هو الذي خلقها وأبدعها وأنشأها من العدم، بناء على هذا المعنى يتضح لنا وجه التناسب بين صدر الآية وذيلها، في صدر الآية الكلام عن معرفة الله تبارك وتعالى على دقائق الأمور مهما خفيت، ومثل لذلك بحبة الخردل، مع صغرها ووجود موانع الرؤية والمعرفة، كونها خلف صخرة أو كونها في مكان بعيد في السماوات أو كونها في مكان فسيح في الأرض، هذا الأمر الدقيق اللطيف الذي لا يرى مع هذه الموانع الله سبحانه وتعالى يدركه، كيف وهو اللطيف الخبير، فيتناسب وصف اللطيف الخبير مع المثال الذي ضربه؛ ليكون المقصود من الجميع أنك يا بني لا تشرك بالله، حتى لو كان الشرك خفياً؛ لأن الله سبحانه وتعالى كاشف لكل شيء، وخبير بحقائق الأمور، فلو كان هناك شيء مهما صغر حجمه، وجاءت الموانع عن رؤيته، هذا اللطيف الخبير يخرج. فإذاً عليك أن تشعر دائماً برقابة الله سبحانه وتعالى الذي هو مع الأشياء وليس من الأشياء؛ لكونه اللطيف الخبير.

⁵ الشورى 19

⁶ الأنعام 103

⁷ الملك 14

يتابع لقمان الحكيم ﷺ موعظته لابنه، فيقول في الآية السابعة عشر: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ في هذه الآية المباركة جمع لقمان الحكيم ﷺ في موعظته بين أمور ثلاثة:

الأمر الأول: إقامة الصلاة.

الأمر الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمر الثالث: الصبر.

وذيل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

المهم بداية أن نعرف الارتباط بين هذه الأمور الثلاثة، قرأنا في علم البلاغة أن عطف الجمل على بعضها البعض لابد له من مناسبة ظاهرة، وهذا ما يسمى بباب الوصل، والجمل التي لا تناسب بينها بنحو من أنحاء التناسب لا يكون وصلها متصفاً بالبلاغة، والقرآن الكريم إعجازه الأصلي هو البلاغة، ولأجل ذلك عيب على أبي تمام⁸ قوله:

لا والذي هو عالمٌ أن النوى صبرٌ وأنَّ أبا الحسينِ كريمٌ

قالوا ما علاقة أن البعد يحتاج إلى صبر وأبو الحسين كريم؟ ما هي العلاقة بينهما؟ فعيب عليه.

ففي هذه الآية جمع الباري بين أمور ثلاثة، نلاحظ أن الأمر الأول بعد نفي الشرك وتثبيت التوحيد يرتبط بعلاقة الإنسان بربه وبعبوديته له، ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ إقامة الصلاة تمثل العبودية لله تبارك وتعالى، وتمثل التكميل للذات، والإنسان بعد تكميله لذاته عليه أن يتحرك لتكميل الآخرين ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وإلا فاقد الشيء لا يعطيه، أولاً: اسع لإصلاح نفسك بأن تعبد ربك، وبأن تكون مخلصاً له في عبوديتك له، بعد ذلك تحرك على الآخرين، في عملية العبودية لله، والتكميل للآخرين هناك مصاعب تنزل على الإنسان، هناك جهد، هناك موانع، هذه قد توقف السالك إلى ربه

⁸ أبو تمام من شعراء العصر العباسي، امتد العصر العباسي من عام 132 للهجرة وحتى عام 656 للهجرة، اشتهر هذا العصر بنمط جديد من الشعر تظهر فيه الصورة الشعرية والمعاني غير المباشرة في الشعر.

في بعد ذاته وفي بعد الآخرين، فتحتاج إلى قدرة على التحمل ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ هذا هو الترابط الذي نفهمه بوضوح بين هذه المقاطع الثلاثة في هذه الآية المباركة.

وفي جملة من الآيات في القرآن الكريم اجتمع الصلاة مع الصبر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁹ وفي آية أخرى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾¹⁰ ففي كثير من الأحيان يقترن الصبر مع الصلاة، وربما سابقاً أشرت إلى حقيقة هذا الاقتران، وهي أن الصلاة تمثل عنصر الارتباط بالقوى العظمى في الوجود، والصبر يمثل عنصر القوة الداخلية في الإنسان؛ لأن كل إنسان يسعى نحو هدف بحاجة إلى لحاظ قدرته، ولحاظ المحيط الذي يحيط به، إذا أردت أن تذهب في الليل إلى طهران عليك أن تنظر إلى قدرتك، هل تستطيع أن تقود السيارة في الليل؟ وفي الوقت نفسه عليك أن تنظر أنه في هذا المحيط ماذا يوجد من عوائق وفرص؟ العوائق حتى تجتنب عنها، والفرص حتى تستفيد منها.

في قرن الصلاة بالصبر يرجع إلى القرن بين القدرة الداخلية للإنسان وبين الارتباط بالمحيط والقوى العظمى في هذا المحيط، وهو الله سبحانه وتعالى، ولذا قال: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾.

في هذه الآية المباركة ينطلق من الصلاة بما تمثل من عبودية لله، وينتهي بالصبر، فالصلاة تأكيد عملي على نفي الشرك الذي ذكره في ابتداء وصيته، والصبر قدرة على المتابعة في طريق التوحيد، قدرة على التحمل للبقاء في طريق التوحيد، والدين ليس مجرد علاقة فردية مع الخالق تبارك، بل لا بد أن نلتفت إلى الخلق ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

⁹ البقرة 153

¹⁰ البقرة 45